من السياسة الآن ترك السياسة

المشرف العام

(من السياسة –الآن – ترك السياسة) جملة قد لا تستسيغها ابتداء عند سماعها؛ لأنها تعني لك إن لم تدرك مقاصدها، وتعرف مراميها، وتتربى على دلالاتها نهاية النهاية، وتغليق كل الأبواب، وأنها سُلَّم من فترت همته، وتقاعست عزيمته، وتآمر على أمته.

وقد تسميها في حالات الإغلاق (بوابة الجبن)؛ التي يتسلل منها الذين تولوا يوم الزحف مدبرين...!!

فالسياسة –الآن – بكل ألوانها، وجميع أطيافها، في نظر أكثر بني قومي تمثل الهواء الطلق الذي فيه يطير ويحلق أحدهم وينطلق، أو الماء العذب الذي تكرع منه الأمة بهناء وحبٍّ.

... لكنها عند من تأملها وعرف مغزاها حق المعرفة بصمة تركها شيخنا (الألباني) رَحِمَهُ ٱللَّهُ على غرة العمل الإسلامي المعاصر؛ لأنها انبثقت من نظرة شرعية شمولية، وتجربة حياتية متكاملة، قامت على أساس متين من العقيدة والمنهج، وفقه لواقع الأمم والشعوب، يرتكز على علم سنن الله الكونية والشرعية:

إن السلفيين لا ينكرون الاشتغال بالسياسة الشرعية؛ لأن السياسة الشرعية معناها: رعاية شؤون الأمة، بما لا يخالف الكتاب والسنة وثوابت منهج سلف الأمة... لكن السلفيين يؤمنون بالتدرج: الذي هو سنة الله الكونية في كلِّ شيء، ويوقنون بالتسلسل الصحيح الذي يرتكز على منطق الأشياء، ويقوم على سنن الشرع في آن واحد! حتى عندما يأتي اليوم الذي سيدخل فيه السلفيون السياسة الشرعية ليهذبوا بها السياسة العصرية: من خداعها، ونفاقها، وخيانتها، وغدرها، وتلونها، وتحولها.. إلخ.

أقول: عندما يأتي هذا اليوم –لا ريب فيه– فإن أزِمَّة هذا العمل ستبقى في يد أهل العلم والحل والعقد والخبرة: الذين يسوسون الأمة

كل في مجال عمله، وفي ميدان تخصصه، وأما أن يستغل (الرويبضة) ممن ليس بيده شيء من الأمر؛ فيتكلم في أمر العامة، ويشغلها عن حقيقة واقعها، ومآل أمرها؛ فذاك ضيعة وإضاعة ومضيعة... «وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»!! لأن التحرك السياسي في أي مجتمع مسلم لا يُحْكَم بالشرع سيكون دمارًا وبوارًا.

ماذا سيقول من ينكر مقولتنا هذه وهو يرى أولئك الحركيين الذين تلطخوا بالانتخابات، ودارت بهم عجلة البرلمانات، كيف كان حالهم؟ وكيف صار مآلهم؟ وكيف خيبوا آمال قواعدهم الشعبية؟! ورفعوا الراية البيضاء أمام الدولار($) واليورو(€) والباوند(£).

دخلوا ليغيروا؛ فتغيروا...! عاهدوا الله على نصرة الشريعة والمطالبة بتحكيمها؛ فصوتوا على مدنية الدولة وعلمانيتها التي ينتسبون إليها، وترضعهم من لبانها...!!

إنه سيقول بملء فيه مما هو فيه: من السياسة -الآن- ترك السياسة.

وماذا سيقول من يسمع كثيرًا من الحركيين ينادون إخوانهم في التنظيم، ويدعون أقرانهم في الحزب إلى ترك العمل السياسي بكل مفرداته.

سيقول رحم الله العلامة الألباني لقد سبق أقرانه وأهل قرنه في مقولته: من السياسة -الآن- ترك السياسة.

ماذا سيقول ذاك المثقف السياسي الذي أبى إلا أن يكون عالي الجودة السياسية؛ فإذا به يسمع ويرى (القوة الخفية) تصنع السياسة في (الدهاليز)، وتجهزها خلف (الأبواب)، وتعرضها في (الغرف المعتمة)، وأن ممثليها على خشبة المسرح الذين يراهم المشاهدون، ويصفق لهم المعجبون، ويصفر لهم المهرجون، ويهتف لهم أصحاب الحناجر المعلعلة: ما هم إلا دمى على رقعة الشطرنج، وأن ألقابهم ورتبهم كما قيل:

ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد

إنه سيرجع القهقرى ويقول: نعم من السياسة -الآن- ترك السياسة.

ماذا سيقول من أمضى نصف عمره يقلب صفحات الجرائد، ويجمع قصاصات الصحف، أو دفع نصف عمره وهو يتنقل أمام الفضائيات، أو أنهى عمره في قراءة مذكرات فلان ويوميات علان، ثم اكتشف في لحظة مواجهة مع نفسه وقد عرضها على مرآة نفسه: أنه يدور في حلقة مفرغة،

وأنه يسعى وراء السراب، وأن ما يريده قد كفاه الله مؤنته منذ قرون ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

إنه سيقول –بكل قوة وجرأة وثقة وتحد وثبات–: من السياسة –الآن– ترك السياسة.

ولكننا سنقول له ولكل المحبطين –بكل أريحية تامة تملأ نفوسنا، وبكل طمأنينة كاملة تعيش في جوانحنا– مقولة شيخنا (الألباني) بكمالها وتمامها: ليس من السياسة – الآن – ترك السياسة.

الآن .. الآن ... وليس غدًا عندما نقدم للعالم كله مشروعنا الحضاري: القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وثوابت المنهج السلفي، الذي تؤكد الأدلة العقلية والنقلية: أن المستقبل له وحده، بإذن الله وحده.

قد لا ندركه أو لا نراه لكنه يعيش في ضمائرنا حيًّا، ويتربع على عرش قلوبنا صافيًّا، ونعلم علم اليقين أن بذرته ألقيت في أرض خصبة، ستعطي أكلها ولو بعد حين: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [سورة الإسراء: ٥١].

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واقع كثير من شباب الصحوة المزعومة –اليوم–، الذين يرد بعضهم على بعض، ويطعن بعضهم في بعض للضغينة لا النصيحة، ووصل تعديهم وشرهم إلى بعض العلماء وأفاضلهم، ونبزوهم بشتى الألقاب، غير متأدبين بأدب الإسلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه» ومغرورين بنتف من العلم جمعوه من هنا وهناك حتى توهموا أنهم على شيء وليسوا على شيء كما جاء في بعض أحاديث الفتن (انظر الصحيحة ١٦٨٢)، وصرفوا قلوب كثير من الناس عنهم بأقوال وفتاوى ينبني على جهل بالغ مما يذكرنا بأنهم من الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا». متفق عليه

«السلسلة الضعيفة» (٥٥٧/١٤)